الفائدة الخامسة والثلاثون:

ترغيب الله لنا في الجنة وتزهيده لنا في النار

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلِيْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيْرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فمن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بنا، ومحبته لسلوك طاعته، ومرضاته أنه رغبنا في الجنة، وزهدنا في الدنيا.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام:٣٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد:٣٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:٢٠].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:٦٤].

فانظر إلى هذا التنوع في الإخبار للناس بحقيقة هذه الحياة، وأنها دائرة بين اللهو، واللعب، واللاهي بالشيء سرعان ما يتركه، فانظروا إلى الأطفال كيف يلهون بألعابهم، ثم يتركونها زاهدين فيها.

وهكذا هذه الحياة لهو تلهوا فيها القلوب الغافلة، ولعب تلعب فيها الجوارح المعرضة،ثم المآل إلى الآخرة، فمن كان من أهل الطاعات فهو إلى الحيوان الكامل، وليست الصلاة والصيام، والحج، والعمرة، وقرأة القرآن، والإحسان إلى الجيران، وصلة الأرحام ليس من اللهو، واللعب، وإن كان يقع في الدنيا، وإنما هو مضافٌ إلى الآخرة؛ لأنها أعمال تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولأن ثواب هذه الأعمال في الآخرة.

* **فيا أيها المسلم**، احذر أن تكون متشبهًا بأصحاب اللهو، واللعب، فيقسو قلبك، وتُعرض جوارحك، وتصم أذنك، وتعمى أبصارك عن معرفة الحق، وسماع الحق، والعمل بالحق.

وسبحان الله وصف الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا مع كثرة سنينها، وتتابع أيامها، وأعوامها بأنها لهو لبيان قلة المكث فيها، فالناس يخرجون إلى الحدائق، يخرجون إلى المنتزهات للهو واللعب، لكن كم بقائهم في هذه الحدائق وهذه المنتزهات بقاء قليل، ثم يعودون إلى بيوتهم، ويعودون إلى مساكنهم.

فهكذا هذا المثل: الدنيا لهو ولعب، ثم المآل إلى الآخرة، فمن عمر الدنيا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ كان له الأجر العظيم، ومن ضيع عمره باللهو واللعب في هذه الدنيا، كان عليه الويل والعذاب الأليم، نسأل الله السلامة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:٢٠].

بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا وما فيها من اللهو، واللعب، والزينة، والتفاخر، والتكاثر، قال مآل الناس إلى حالين لا ثالث لهما: إما إلى عذاب أليم، وإما إلى نعيم مقيم.

ومعلوم أن أصحاب العذاب الأليم هم الكفار، والمنافقون، ويخشى على عصاة الأمة أن يعذبوا في النار وبئس القرار، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: {رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر:٢].

* جاء في تفسيرها ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ قَوْلُكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟. فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ، فَيُخْرِجُهُمْ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَبْرَءُونَ مِنْ حَرْقِهِمْ كَمَا يَبْرَأُ الْقَمَرُ مِنْ خُسُوفِهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، ويسمَّون فِيهَا الْجَهَنَّمِيِّينَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَنَسُ، أَنْتَ سمعتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ أَنَسٌ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مِنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». نَعَمْ، أَنَا سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول هَذَا.

وفي رواية: «**قَالَ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمُ الْإِسْلَامُ! فَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا**».

وفي رواية: «**مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِيمَانُكُمْ؟**».

وفي رواية: «**فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا**»

وكَانَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَتَأَوَّلَانِ هَذِهِ الآية: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} يَتَأَوَّلَانِهَا: يَوْمَ يَحْبِسُ اللَّهُ أَهْلَ الْخَطَايَا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ. قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُخْرِجُهُمْ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}.

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَا يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ لِلْمُوَحِّدِينَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِيمَانُكُمْ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ. قَالَ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ. قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}.

وعن صَالِحُ بْنُ أَبِي طَرِيفٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يُخرج اللَّهُ نَاسًا من المؤمنين من النار بعد ما يَأْخُذُ نِقْمَتَهُ مِنْهُمْ**»، وَقَالَ: «**لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَمَا بَالُكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ فَتَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ، وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، حَتَّى يَخْرُجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتُدْرِكَنَا الشَّفَاعَةُ، فَنَخْرُجُ مَعَهُمْ**». قَالَ: «**فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ مِنْ أَجْلِ سَوادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، أَذْهِبْ عَنَّا هَذَا الِاسْمَ، فَيَأْمُرُهُمْ فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرِ الْجَنَّةِ، فَيَذْهَبُ ذَلِكَ الِاسْمُ عَنْهُمْ**»، فَأَقَرَّ بِهِ أَبُو أُسَامَةَ، وَقَالَ: نَعَمْ[1]. اهـ.

وأخرج الإمام النسائي في «التفسير»: عَنْ يَزِيدَ بْنِ صُهَيْبٍ الْفَقِيرِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرٍ فَذَكَرَ الْخَوَارِجَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ**

(١) «التفسير» (٤/ ٥٢٤-٥٢٦)، مختصرًا.

بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، لِمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَى مُوَحِدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللهُ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر:٢]»(١).

فهم يعذبون بسبب ذنوبٍ، ومعاصي، إلا أن صاحب الإيمان مآله إلى الجنة، فعند ذلك يُرسل الله عَزَّوَجَلَّ ملائكته أن أخرجوا من النار من كان من أهل الإسلام، فعند ذلك يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين.

* ويسلم من النار المؤمنون الخُلص، ومن شاء الله عَزَّوَجَلَّ من أهل الإيمان الذين تلوثت أعمالهم، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨].

فمن الآن إياك أن تغتر باللهو، واللعب، والله لو قال لنا آبَائِنَا، أو أمهاتنا، أو مدرسونا، أو أحد من المتكلمين: هذا لعب، العاقل سيتركه.

انظروا إلى جماهير العقلاء هل تجد أحدًا يحب لعب الكرة، يضيع الوقت!، أنا ما أتكلم عن الشاب الذي مازال في عنفوان شبابه ما يبالي بالوقت، لكن العاقل يقول ماذا معي في الكرة؟ ماذا معي في هذا الألعاب؟ أي عاقل، ويذهب ويبحث عن العمل الذي يفيده بغض النظر هل يقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، المهم يبحث عن العمل الذي يفيده في نظره.

* فلماذا نحن نسمع الله عَزَّوَجَلَّ يقول: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} [العنكبوت:٦٤]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد:٣٦]؟

(١) «الكبرى»، كتاب التفسير (١١٢٠٧)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم بعد ذلك نشغل أنفسنا فيها، وبالتلذذ بها، والتنعم فيها، والعمارة لها، وكأننا سنخلد فيها، والله ما سيخلد فيها أحدٌ لا برٌ تقي، ولا كافرٌ شقي، وكما قيل فيها: حلالها حساب، وحرامها عذاب.

فمن الآن يا أخي المسلم اشترِ نفسك من الله، فنحن مقبلون على ليالٍ كريماتٍ، عظيماتٍ، جليلاتٍ، فيها ليلة خير من ألف شهر، فلنقبل على ربنا ونسأله أن يوفقنا، وأن يغفر ذنبنا، وحوبنا.

ﷺ وما أحسن ذلك الدعاء الذي علمه النبي ﷺ من أسلم، قَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي - وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**»(١).

لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعفو عن تقصيرنا، وأن يوفقنا في طاعاتنا، وأن يتقبلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والحمد لله.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧)، عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.